رابعا : أغانى الأصفهانى فى مسيرته الطويلة

رابعا : اغانى الاصفهانى .. فى مسيرته الطويلة

يقول الدكتور طه حسين فى مقاله عن (الغزل والغزلون) المنشور بمجلة (السياسة) عدد ١٠ سبتمبر ١٩٢٤ : (لذيذة جدا قراءة الأغانى فى ارض ما احسب انه قرىء فيها قبل اليوم . فى اقصى الغرب المرنسى . نعم فقد اصطحبت معى هذا الكتاب وما قرأت فيه يوما الا ذكرت قصة ذلك الرجل القديم الذى كان كلما ارحل استصحب اجمالا تحمل له ما يحتاج اليه من الكتب فى رحلته . فلما ظهر كتاب « الأغانى » استغنى عن تلك الأجمال وما كانت تحمل من اسفار . واكتفى باستصحاب هذا الكتاب . اذكر هذه القصة كلما قرأت فى كتاب الاغانى . وليس يعنينى ان تكون القصة صحيحة او غير صحيحة . ولكنى اؤكد ان فى هذا الكتاب ما يغنى عن الأجمال . وعما يمكن ان تحمل من اسفار . وان من اليسير جدا ان يستغنى به الباحث عن كثير من كتب الأدب والتاريخ) .

هذا هو الذى صرح به استاذنا الدكتور طه حسين فى الربع الأول من هذا القرن . حين كان يعيد النظر فى تراثنا الأدبى العربى القديم ، برؤية جديدة ، ومن خلال زاوية للنظر جديدة . ملقيا عليه اضواء كاشفة من الثقافات الحديثة . بل عندما كان يدعو شباب العرب الى ضرورة فهم تراثنا على الوجه الذى يلائم

طريقتهم المعاصرة فى الفهم ، ومنهجهم فى البحث والدرس والتحليل : كى يستخلصوا منه العلم الذى يريدون على النحو الذى يلائم العقول فى العصر الذى يعيشون فيه ، وذهبه الى انه ليس بكافينا ان نقرا الأغانى ، لأنه ليس كتاب ادب وتاريخ ، وانما هو مصدر للأدب وللتاريخ .

ولقد سبق طه حسين فى الاهتمام بكتاب « الاغانى » والاشادة بفضله ، غير واحد من ائمة الكتاب والمفكرين والمؤرخين العرب القدامى ، بدءا بالقاضى التنوخى احد معاصرى مؤلف « الأغانى » ، وابن النديم فى « الفهرست » ، وياقوت صاحب « معجم الأدباء » ، والخطيب فى « تاريخ بغداد » ، ومرورا بأبى زكريا الاندلسى ، وابن دينار ، وابراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى ، وعلى بن احمد الرزاز ، وأبو الحسين على بن محمد ، حتى نصل الى «ابن خلدون» الذى نجده يقول فى معرض حديثه عن كتاب (الأغانى) : (لعمرى انه ديوان العرب وجامع اشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلم) .

وعلى هذا النحو سار اكثر من اثنين وعشرين مؤرخا عربيا قديما تعرضوا للكتاب او لصاحبه . وهما معا اللذان تعلما تلك الرحلة الطويلة مؤثرين ، نافذين . وذلك منذ نهاية القرن الثالث الهجرى — التاسع الميلادى — حتى الآن .

ولقد كان من حظ (الأغانى) انه نجا من تلك الهجمة التترية .

حين اختار القصر على صروح العلم واسس الأدب ؛ فطرحوا المهمات للطلب ، وتنافس المصنفات ، وساح الفكر العربي في نهر « دجله » بالعراق .

ولعل اهتمام الخلفاء والأمراء والوزراء باقتناء « الأغاني » منه ما قد يؤكد مدى ما حظي به هذا الكتاب . ويروى « ياقوت » صاحب « معجم الأدباء » أن « الأغاني » لم يكن يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره ، وانه كان جليسه الذي يأنس اليه ، وخدينه الذي يرتاح اليه .

ولم يكن « الأغاني » وحده رفيق الطبقة القارئة آنذاك ، أو تلك الطبقة القادرة على اقتنائه والاطلاع عليه والاحتفال به ؛ فان صاحب « الأغاني » ايضا احتل بين أسمائهم هو أعاظم زمانه . يقصد بذلك « سيف الدولة بن حمدان » الذي أعطاه الف دينار مكافأة عندما انتهى من كتابه . كما كان من ندماء الوزير « المهلبي » ، وكانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها . كذلك فانه كان كاتبا لركن الدولة ، حظيا عنده ، محتشما لديه .

ولم يكن ذلك التقدير والاحترام لأبي الفرج الاصبهاني الا لأنه مؤلف كتاب « الأغاني » . وهو الكتاب الوحيد الذي يتخذه الدارسون والباحثون والمؤرخون مصدرا لدراسة الحياة الاجتماعية والأدبية والفنية في عصر الدولتين الأموية والعباسية .

يضاف الى هذا ان كثيرا من الأدباء : شعراء وناثرين ، قد

انتفعوا به على اختلاف العصور وتتابع المراحل التاريخية . فضلا عن انه خزانة ملح ، ونكت ، ونوادر ، ونبذ ، وفصول ممتعة في العادات والتقاليد والحكايات والنوادر ؛ منقولة عن امهات الكتب ، والآثار الحافلة ، والمراجع النادرة التي لا وجود لها الآن .

فالشعراء يجدون في (الأغاني) نماذج شعرية متعددة ، لكبار الشعراء العرب المعروفين في العصور المتقدمة ! وفي العصرين الأموي والعباسي على وجه خاص . ويعرفون من خلاله ، نوعيه الشعر الذي كان يغنى ، وصورته ، وأوزانه ، وتأثيره . فلم يكن كل الشعر يغنى بطبيعة الحال ؛ وانما كان ابو الفرج الاصفهاني يشير الى القصائد التي كانت تغنى من شعر الشاعر . ويتاح للشعراء ايضا ان يطلعوا على حياة اعلام الشعر: واخبارهم ، وعلاقاتهم . وكيف كانوا يؤلفون قصائدهم . والموضوعات التي كانت تغلب عليهم .

وفي (الأغاني) نقرأ كل ما قيل حول الشعر من قبل المتذوقين الواعين له ، والذين هم على دراية بصناعة الشعر من النقاد والعلماء .

واظننا لا نغالي اذا قلنا ان في (الأغاني) غناءً كبيرا لمن اراد ان يتعرف الى صورة الحياة العربية من شتى جوانبها : السياسة ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفنية ، والأدبية ، والدينية ، والأخلاقية ، والفكرية ، والطبية ، والعاطفية ، وكل ما يتصل

بوجود الانسان على الأرض ، وبعلاقاته بالآخرين ، فى العصرين الأموى والعباسى .

معنى هذا ، من ناحية اخرى ؛ انه لولا هذا الكتاب ؛ ولولا حفظه طوال هذه السنين . ولولا انه ظل متداولا ابان حكم متباين الدول ، ورغم تعدد الأجيال ؛ لضـــاع معظم الشعر القديم ؛ ولفقدنا كثيرا من نصوص النثر العربى ؛ ولتلاشى وصف اشياء قيمة عن الحضارة الاســـلامية والحياة الاجتماعية والعمرانية ، التى يلزم ان يلم بها كل انسان عربى ..

وهنا يكمن السر فى أن (الأغانى) اصبح الآن متداولا فى ايدى العلماء والأدباء والمؤرخين والنقاد ؛ عربا كانوا ام غير عرب !! فأنت لا تجد كتابا قديما او حديثا كتب عن العرب ، وصنوف حياتهم واخلاقياتهم ؛ وقيمهم . وادبهم ، وآدابهم ، وغنائهم ، وشعرائهم ؛ الا وكان كتاب (الأغانى) مورده العذب الذى لا ينضب معينه .

ونكشف مقدمة (الأغانى) عن راى ابى الفرج الأصفهانى فى فائدة الكتاب وطبيعته ومنهجه ، والباعث على تاليفه ، والمشقة التى احتملها ، كما تظهر لنا المقدمة كيف ان ابا الفرج الأصفهانى جمع ما حضره وما امكنه جمعه من الأغانى العربية قديمها وحديثها بالنسبة الى عصره . ثم نراه بعدئذ ، فى متن الكتاب ، ينســـب كل ما ذكره منها الى قائل شعره ، وصانع لحنه ، وطريقته من ايقاعه ؛ واصبعه التى ينســـب اليها من طريقته .

وربما يكون اهتمام ابى الفرج الأصفهانى بهذا الجانب أحد الاسباب الكامنة وراء ادعاء بعض الدارسين بأن قصد كتاب « الأغانى » تحدد — فقط — فى جمع الأغانى العربية ، وافراده بذكر الغناء العربى ، وتعيين قواعده ، وبيان آلات الطرب والموسيقى ؛ وكل ما يتصل بذلك فى أرقى العصور الاسلامية .

فقد ورد فيه ان أول من غنى فى صدر الاسلام عبد ملكى اسمه « سعيد بن مسجح » ، وذلك أنه مر بالفرس وهم يغنون المسجد الحرام ، فسمع غناءهم بالفارسية ، فنقله فى شعره الى العربية . وذكر أنه ليونس الكاتب كتابا فى الاغانى وانه أول من دون الغناء .

ونقل لنا رأى « ابن سريج » فى صفات المغنى الذى يستحق الالحان ، وملا النفوس ، وبعدل الأوزان ، ويمحض الالفاظ ، ويعرف الجواب ، ويقيم الاعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسن مقاطع النغم القصار ، ويصيب اجناس الايقاع ، ويحتلس مواضع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها من المقامات .

كما ان بالكتاب كثيرا من المصطلحات الاصطلاحية الخاصة بأصول الغناء : وقواعده ؛ ووصفا لأحوال الامراء فى سماع الغناء ، وتصويرا لأغانى الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم ، مع تعريف بالأصوات التى غنوا فيها ، مثال ذلك غناء « عمر بن عبد العزيز » وغناء « يزيد بن عبد الملك » ، وغناء « الوليد بن يزيد » ، ووقف عند بعض آلات الطرب والموسيقى ، مثل : الأرغن الرومى ،

والدف . والطبل ، والطنبور ، والعود . والناى ، وذكر شيئا كثيرا عن الخلفاء العباسيين من أمثال : ابو العباس السفاح ، وابو جعفر المنصور ، والهادى ، والرشيد . والمأمون ؛ وكيفية استماعهم للغناء واستمتاعهم به . ثم هنالك ما يتصل بغناء « الواثق بالله » و « المنتصر » و « المعتز بالله » .

هذه وغيرها من المعلومات والشواهد هى التى جعلت البعض يذهب الى اعتبار كتاب (الأغانى) كتابا من كتب الموسيقى . ومن ثم اعترضوا على وضعه بين كتب الأدب .

غير ان التأمل الدقيق فى كل فصول الكتاب واجزائه التى تشكلت احدى وعشرين جزءا ؛ كما أن امعان النظر فى مادته ؛ والدراسة الموضوعية المتأنية لما تخلل حديثه عن الأغانى والمغنيين . قد يساعد فى الرد على هذا الزعم . وربما يعاون فى ابراز أهمية الكتاب من نواحى متعددة .

من ذلك ان الكتاب اذا ذكر ابياتا على لحن ، وعين نغمها . ومن غناه ؛ استطرد الى ذكر ناظمها ، وترجمته ، والأحوال التى قيلت فيها . من حرب اوحب ، واسباب ذلك ، واحواله ؛ فى الجاهلية أو الاسلام . والكتاب يورد تفاصيل ذلك بكل دقة واسناد . وهكذا جاء مشتملا على أخبار مئات من الشعراء ، والأدباء ، والمغنين ، والخلفاء . والقادة . وأكثر ايام العرب . واخبار القبائل . والأنساب . والوقائع ، والغزوات .

وهو لم يكتف بذلك : وانما أضاف اليه اهتماما خاصا بذكر آداب العرب ، وسلوكهم ، ووصف هيئاتهم وملابسهم ومآكلهم ومشاربهم . وجمع أخبار العامة . ولغة العامة . ومعتقداتهم .

ووصف الكنائيب حيث كان يتعلم الناس . وكيف كان المسلمون يعاملون طلابهم ، ويكافئون النابغين منهم . وكيف كانت حياة الطلاب في الكتاتيب . وجسد لنا صورة الملاهي . وانواع الشراب . ودور الناس ، ومواندهم ، وأوانيهم ، وفرشهم ، وقصور الخلفاء في الحجاز والشام والعراق . وأندية تلك القصور والحانات .

ويبدو ان ابا الفرج الأصفهاني كان قد جعل همه ان يدخل قصور الخلفاء ، وأن يسمع بأذنيه ما يتساقطونه من الأحاديث . وأن يرى بعينيه منازل الجواري والقيان والمغنيات فكانت له نزعة خاصة الى اشباه هذه الأخبار ؛ حتى يعلم الناس بما يجري . ومن ثم فانا نراه ينبه الأذهان الى أمور كانت عنها غافلة . وحرض الناس بها على حرية الرأي والحكم .

ومعنى هذا انه لم يقتصر على جمع ما امكنه من الأغاني العربية . وانما دخل على الخلفاء قصورهم في الليل . ثم وصف كل ما اتصل به علمه في هذه القصور . وكشف الغطاء عن أنماط وألوان من الحياة ، لولا معرفتنا اياها عن طريقه لفاتنا كثير من تاريخنا حتى رأينا تلك الحياة بأعيننا . وسمعنا الأخبار بآذاننا ، ولمسنا آثارها بأيدينا .

ولولا هذه الصور المنثورة والمبثوثة فى كتاب (الأغانى) لضاع علينا من آثار الحياة فى الدولتين الاموية والعباسية الشىء الكثير .

وان دل هذا على شىء فانما يدل على ان (الأغانى) كان مشغولا بتعريف قارئه بشتى جوانب الحياة ، وصورها ، وعلاقات الناس فيها ، وأوضاعهم الاجتماعية ، وطبقاتهم الاقتصادية ، والوان ثقافتهم ، واتجاهات تفكيرهم ، وافراحهم ، واحزانهم ، وعاداتهم الموروثة والمكتسبة .

اما صورة المراة ، ومكانتها الاجتماعية ، وحريتها ، وثقافتها ، ومعاملة الرجل لها ؛ فى العصرين الاموى والعباسى ؛ فاننا نستطيع ان نستشفها بوضوح مما قاله أبو الفرج عنها ، ومما ذكره من اخبارها : اعجمية متحضرة ، او عربية بدوية ، او امة من الاماء المنهنات المبتذلات اللائى يبعن ويشترين . وقارىء اخبار كل من عمر بن ابى ربيعة ، وقيس بن ذريح ، والمجنون ، ونصيب ، والعرجى ، سوف يصادف صورا متباينة لمدى ما وصلت اليه المراة العربية فى علاقتها بالرجل ، من تطور .

ثم انه اعطانا صورة للاندية الأدبية التى كان لها ايام بنى العباس اثر فى الأدب لا يمحى ؛ وكذلك المساجد ، والأديرة . وصور لنا مواكب الحج . وكما اولع فى الحياة بتتبع الخلفاء حتى يعرف اسرار حياتهم ؛ فانه اولع بتتبع الشعراء ، حتى يعرف مصادر شعرهم . فقد تعقب ابا العتاهية ، وابا نواس ، وابا تمام ، والبحترى ، وبشار بن برد ، وغيرهم .

ولم يكتف ابو الفرج فى (الأغانى) بذكر الحوادث ، او بسرد الأخبار ؛ وانما عنى — بالاضافة الى هذا — برسم شخوصه ، وابراز الجوانب المأثورة عنهم ؛ ليكمل بها اطار التاريخ . فهو فى تعرضه للشاعر او للشخصية التى يريد تعريفها والحديث عنها ، يجعل عنوانه موحيا بأنه سوف يهتم — بالدرجة الأولى — بالأخبار المتصلة بهذه الشخصية لمس غير . كان يقول « اخبار عنترة العبسى » . ثم نراه لا يترك شيئا يستحق الذكر دون ان يذكره ، فى تركيز شديد ، ومن غير اسراف ولا استطراد ، وفى لغة واضحة . واذا بنا — بعد حين — نعرف بماذا يكنى ؟ وماذا قال العرب فى تشقق شفتيه ؟ ورأى الشعراء فى شعره ؟ ونسبه لأمه ولأبيه . وتطور علاقته بأبيه ، ودوره فى الأحداث التى وقعت لقبيلته عبس ؛ ومعاركها مع طىء وبنى تميم . وتخرج فى النهاية بصورة كاملة للحياة مجتمعة فى ايام عنترة العبسى ؛ من خلال عرضه لأخبار هذا الشاعر .

ويهتم ابو الفرج بالأسباب والعلل ؛ عنايته بالمسبب والمعلول ، اذ نراه يراعى هذه الجوانب حين يقدم الأسباب ، ويبنى عليها النتائج . وعلى هذا ؛ فانه اجهد نفسه فى البحث عن اصح الأخبار ؛ وأدق الروايات ، واصدق الأحاديث . وحاسب الرواة على الاكاذيب والخطأ . وكان معتدلا فى نقده . كارها للاسراف . واقعيا فيما يصف . صادقا فيما يروى . أمينا فيما ينقل . موضوعيا فى أحكامه .

وأثناء سرد (الأغانى) للأخبار ، انفرد بشرح كلمات لغوية ،

لا وجود لها فى المعاجم والقواميس . وذكر الفاظا اصطلاحية كانت شائعة فى الدولتين الأموية والعباسية ، ولا نظير لها فى كتب الأدب . فهو من هذه الناحية حفظ لنا ثروة لغوية عظيمة ، لولاه لضاعت مع ما ضاع من تراث العرب الأدبى .

وهنا ينبغى الاشارة الى اسلوب ابى الفرج الأصفهانى فى العرض . والتناول . والتفسير ، والتحليل ، والتصوير . فقد امتاز بانتقاء الألفاظ السهلة ، والتأنق فى صوغ العبارة ، وتوثيق الربط بين الجمل والعبارات ، باسلوب عربى سليم ، جعله نسيج وحده . لم يجر وراء المحسنات اللفظية ، والصور البلاغية ، والسجع . والجناس ، والطباق ، والبديع . ولعله ادرك أن هذه القيود قد تحول بينه وبين قارئه الذى يستهدفه . فتكون حاجزا منيعا دون وصول المعلومات بسهولة ويسر اليه . وهذه المحسنات لا تتوافق مطلقا ، ولا تتكيف ابدا ، مع الأخبار والوقائع والشخصيات التى كان يريد للقارىء أن يعايشها معايشة تامة .

ويروى ان ابا الفرج الأصفهانى عالج الشعر فى جملة ما عالجه . ولقد برز فى الوصف . اذ ان لديه قدرة على الوصف الدقيق . من ذلك رثاؤه لديك له . ووصفه الفار ، والهر . فهو وصاف ماهر . وفى الكتاب مواطن كثيرة تدل على اتقانه هذا الجانب . (انظر مثلا : بدوى فى عرس . الجزء ١٢ — ص ٢٣ — ص ٣٥ — وطمع اعرابى . جزء ١٧ ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ — وعفو أمير . الجزء ١١ ص ١٢ — ص ١٣) .

ويحفل (الأغانى) بآراء نقدية متباينة . نجدها مبثوثة فى ثنايا الكتاب . مما قد يكشف عن بعد آخر من أبعاد أبى الفرج ، صاحب (الأغانى) .

فهناك انتقادات ادبية ، وآراء موضوعية ، ان دلت على شىء فانما تدل على وعيه الثقافى والفكرى ، وعلى سعة اطلاعه ، وعلى خصوبة ذهنه ، وقوة ملاحظته .

وكان اشد الناس وطأة فى النقد على (ابن الكلبى) فى روايه عن « دريد بن الصمة » . وهو امام جليل فى اللغة والأدب والأخبار . و « ابن خرداذبة » فى ثناء كلامه عن « معبد » . وهو من كبار العلماء والمؤرخين والجغرافيين . وقد تناولهما كثيرا فى كتابه (الأغانى) .

ورأيه فى قصة « وضاح اليمن » معروف . حيث يذهب الى أن هذه القصة مصنوعة ، وضعها أحد الشعوبية . وقد كانت بينه وبين « أحوى » ملاحاة أيام بنى العباس .

وأكبر الظن أن هذه القصة موضوعة كلها ، وان كانت فى حد ذاتها جيدة ، مؤثرة ، صالحة لأن تكون موضوع مأساة موسيقية .

وجدير بالذكر أن الدكتور طه حسين ، قد اعتنق رأى ابى الفرج الأصفهانى ، واقلم عليه شكه فى شخص « وضاح » ، وأمره ، وشعره ، واخباره .

ومما يذكره الأقدمون له ، انه لا يجعل لأخلاق اهل الفن صلة بنقد فنهم . فاذا أشار الى طائفة سيئة من أخلاق بعض الشعراء ، فانه يفصلها عن شعرهم ، ولا يجعل لها تأثيرا فى نقد هذا الشعر . من ذلك موقفه من شعر « الأحوص » ، وكلامه عن « أبي تمام » ، ودفاعه عن « ابن المعتز » ، وانصافه لكعب بن الأشرف على يهوديته . اذ استطاع أن يتملص من آثار ذلك العصر فى تصانيفه ، وأن يرتفع عما لم يترفع عنه غيره .

انه اراد أن يقف فى وجه غلاة الأخلاقيين ، الذين يرفضون الفن الصادر عن فنان يعتبرونه لا اخلاقيا . وبمثل ما دافع عن كل جديد جيد . وهو أمر غير متوقع من انسان فى مثل عمره ، وفى مثل الظروف المحيطة به ، وبخاصة انه كان يتعامل مع القديم : شعرا وشعراء . اخبارا وآراء . احداثا ووقائع . مؤلفات ومؤلفين . مكان الطبيعى ان يكون مشايعا لأبناء جيله فى التصدى بالهجوم على الجديد ، وفى مناصرة كل قديم لقدمه . لكنه كان على العكس من ذلك كله : واعيا ، ذكيا ، مدركا لأبعاد الحاضر والمستقبل .

مرتبط بهذا من قريب جدا ، رأيه فى الفصل بين الأخلاق الشخصية ، والسلوك الصادر عن الفنان المبدع ، وبين العمل الفنى الذى ابدعه . فالسلوك — فى نظره — مسألة تعود عليه هو اولا وقبل كل شيء . أما العمل الفنى فانه عمل اجتماعى ، يمتد تأثيره الى ابعد من ذات الفنان . الى الآخرين ، الذين

يتلقون فنـــه ، ويحاكونه ، ويتأثرون به . لذا نرى « أبا الفرج الأصفهانى » يتصدى للعمل الفنى ذاته ، مستقلا عن ذات الفنان .

يقول عن « الأحوص » بعد أن غض من اخلاقه ، وبعد أن روى الخبر : (وليس ما جرى من ذكر الأحوص ارادة للغض منه فى شعره ولكنا ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تأخر وتقدم وفضيلة ونقص ، فأما تفضيله وتقدمه فى الشـــعر فمتعالم مشهور وشعره ينبىء عن نفسه ويدل على فضله فيـــه وتقدمه وحسن رونقه وتهذيبه وصفائه) الجزء ١٥ ـــ ص ٩٦ .

ولا ننسى فى هذا الصدد رأيه فى شعر أبى العتاهية ، وكيف انه اخذ كثيرا من معانيه من كـــلام الفلاسفة لما حضروا تابوت الاسكندر . وهو رأى اخذ به أكثر من باحث ودارس محدث .

ومهما يكن من امر فانه كان فى نقده نزيها منصفا ، بعيدا عن الذاتية ، غير متأثر بالعوامل الشخصية التى لا علاقة لها بالفن من قريب أو من بعيد .

ويتبلور فى (الأغانى) موقف واضح من قضية القديم والحديث . وهو تأكيد لما ســـبق أن ذكرناه . اذ يبدو الكتاب ظاهر التأييد للجديد وللمجددين . حيث يعتقد ان لكـــل عصر أحوالا واطوارا خاصة فى الذوق والشعور . وينبغى على الفن والأدب ان يتبعا . هذه الأطوار .

وفى تعرضـــــه لشـــــعر « ابن المعتز » دليـــل عـــلى

ذلك . فهو يرى ان رجلا مثله ، عاش فى عصر رهبت فيه حضارة بنى العباس : لا يمكن ان يعدل عن شعر يشتمل على هذه الحضارة الى شعر البيد والمهامه والقلبى والظليم والناقة والجمل .

هل لنا بعدئذ ان نعجب حين نعرف ان كتاب (الأغانى) قد استغرق تأليفه خمسين سنة . فجاء الكتاب مدرسة تلقى عنها العلماء والأدباء ودارسو الأدب ونقاده منذ اكثر من الف سنة .

وهل لنا ان نتصور مدى ثقافة أبى الفرج الأصفهانى ؟! انه بلا شك لم يقدم على تأليف كتابه هذا الا بعد جهد وعناء ومشقة وقراءة واطلاع وبحث وتدقيق . بمعنى انه هيأ لنفسه جيدا ، وثقف نفسه طويلا ، قبل الاقدام على تأليف هذا الكتاب .

ولعل هذا هو الذى جعل كل من تعرض لسيرة المؤلف ، او لمنهجه ، او لجهده ، يبدى كثيرا من التقدير والاعجاب ، وطويلا من الاشادة بالثقافة والعلم والاحاطة التامة والموسوعية .

قال عنه القاضى « ابو القاسم التنوخى » [هو ابو القاسم على بن محمد . كان عالما باصول المعتزلة . ومن اهل الأدب . ولد سنة ٢٧٨ هـ . وتوفى سنة ٣٤٢ هـ .] : (من الرواة المكثرين الذين شاهدناهم ابو الفرج الأصفهانى . كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والاحاديث المسندة والنسب والآثار ، ما لم ار قط احفظ منه ، وكان يحفظ دون ذلك من الطب والنجوم والنحو واللغة والخرافات وآلة المنادمة ، مثل علم الجوارح والبيطرة والاشربة) تاريخ بغداد — للخطيب — الجزء ١١ ص ٣٦٩ .

وقال عنه « ابو محمد الحسين بن الحسين » [هو ابو محمد الحسين بن الحسين بن محمد بن الحسين بن رامين القاضي ، لقي الشيوخ الصوفية . ومات ببغداد سنة ٤١٢ هـ] : (كان ابو الفرج يدخل الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئا كثيرا من الصحف ويحملها الى بيته . ثم تكون رواياته كلها منها) .

وقال عنه « ياقوت » في (معجم الأدباء) الجزء ٥ ص ١٥٢ : (كان ابو الفرج علي بن حسن الأصفهاني أموي النسب ، غزير الأدب ، عالي الرواية ، حسن الدراية وله تصنيفات منها : كتاب الاغاني ، وقد اورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه).

كما قال عنه « ابو الحسن احمد بن جعفر جحظه البرمكي » وهو أديب راوية ، توفي سنة ٣٢٦ هـ : (لم يكن احد اوثق من أبي الفرج الأصفهاني . وقد روى له شعر حسن) .

وعلى هذا النحو سار « ابن النديم » في (الفهرست) ص١٥٥ : (.. وكان شاعرا مصنفا اديبا ، وله رواية يسيرة واكثر تعويله على الكتب المنسوبة الخطوط او غيرها من الاصول الجياد) .

ثم جاء اخيرا المعلم « بطرس البستاني » في (دائرة المعارف) المجلد الثاني ص ٣٠٣ ليؤكد ما وصف به ابو الفرج الأصفهاني فيقول : (روى عن كثيرين من العلماء ، وكان عالما بايام الناس والأنساب والسير ، وكان متشيعا ، وكان يحفظ من الشعر

والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب شيئا كثيرا جدا . وكان عالما بعلوم أخرى مثل النحو واللغة والخرافات والسير والمغازى وشيئا كثيرا من آلة المنادمة وشيئا من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك . وله شعر جيد ومصنفات جميلة مفيدة منها كتاب الأغانى وكتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب دعوة الأطباء وكتاب الحانات وآداب الغرباء وكتاب الديارات ومجرد الأغانى . وحمل له ببلاد الأندلس كتب صنفها لبنى أمية ملوك الأندلس حينئذ) .

ويؤكد « ابن النديم » أن مؤلفات أبى الفرج الأصفهانى تفوق الخمسة والثلاثين كتابا . وذكر أن أبا الفرج الأصفهانى عندما انتهى من تأليف كتابه (الأغانى) أهدى نسخة منه الى سيف الدولة بن حمدان [هو أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان ممدوح المتنبى . ويقال : لم يجتمع بباب أحد من الملوك ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر . ولد فى ميافارقين سنة ٣٠٣هـ ملك واسط ودمشق وحلب . وتوفى سنة ٣٥٦ هـ) فأجاز أبا الفرج بألف دينار .

ولما بلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد [هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس . وزير غلب عليه الأدب . استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمى ، ثم أخوه فخر الدولة . ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه . ولد سنة ٣٢٦ هـ ، وكانت وفاته سنة ٣٨٥ هـ) قال : (لقد قصر سيف الدولة وانه

ليستأهل استماعها ، اذ كان كلامه موشحا بالمحاسن المستحلة والنكت الغريبة ، فهو للزاهد فكاهة وعبرة ، وللعالم مادة وزيادة ، وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة ، وللبطل رجلة وشجاعة ، وللمتظرف رياسة وصناعة ، وللملك طيبه ولذاذة . ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد ، ما منها ما هو مستعار غيره) .

وابو الفرج الاصفهاني هو ، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي . وكان مع امويته متشيعا . اي انه كان شيعيا ظاهر التشيع .

وقد ولد سنة اربع وثمانين ومائتين . وتوفي في ذي الحجه سنة ست وخمسين وثلثمائة . فكان عمره نحو اثنين وسبعين سنة . ومعنى هذا انه اشرف على عصرين : العصر الثالث والعصر الرابع . لم يقض في القرن الثالث الا نضارة صباه . فقد سلخ فيه من عمره ست عشرة سنة . ولكنه قضى في القرن الرابع شبابه واكتهاله وشيخوخته . وقضى هذا كله في بغداد . وبغداد يومئذ كانت ام البلاد .

والعصر الذي عاش فيه ابو الفرج ورث اضخم ميراث في كل افق من آفاق الحياة المادية والمعنوية والفكرية والأدبية .

ورث حضارة بني العباس . فمن دخل قصورهم في تلك

الايام . ورأى ما اشتملت عليه من الندامى والقيان ، والبنفسج ، والنرجس ، وفاخر الفرش ، ومختار الآلات ، بلغ العجب منه كل مبلغ . فقد كان الرشيد يصطبح فى بعض الأيام ، فيحضره من جواريه المغنيات والخدم فى الشراب زهاء المئة جارية ، فى أحسن رى ، من كل نوع من انواع الثياب والجوهر . وكان يبعث فى بعض الأحيان من يجبى له المال من ناحية الموصل ، فيجبى له منها مالا عظيما من بقايا الخراج ، فيوافى به باب الرشيد ، فيامر بصرف المال أجمع الى بعض جواريه حتى استعظم الناس ذلك وتحدثوا به .

ملع اللهو والتبذير فى قصور طائفة من بنى العباس المبالغ . واذا اردنا أن نعرف ضخامة تلك القصور والنفق فى بنيانها فلنرجع الى شعر البحترى الذى يحلى لنا قصورا حيطانها من زجاج وسقوفها من ذهب وبركها من رخام .

ورث عصر ابى الفرج — اذن — هذا كله . ولكنه ورث معه ايضا ميراثا فكريا أجل واعظم . فقد خلفت له العصور السابقة أعظم ما وصلت اليه عبقرية العرب فى النثر وفى الشعر . فالجاحظ مات فى العصر الذى ولد فيه ابو الفرج ، وابو تمام والبحترى وابن الرومى تركوا شعرهم للعصر الذى نشأ فيه ابو الفرج . ولا يخفى انه عاش فى العصر الذى عاش فيه شاعر ملأ الدنيا وشغل الناس ، وهو المتنبى . بمعنى ان ميراث عصر ابى الفرج الأصفهانى كان عظيما فى كل ناحية من نواحى منظوم القول ومنثوره .

اختمرت اللغة فى ذلك العصر ، فقدرت على وصف دقائق الحياة وجلائلها . ووجدت المدارس النحوية ، واختلف كبار النحاة ، وتأصلت قواعد اللغة .

واختمر النقد : فنشأت المذاهب النقدية ، وتعددت آراء النقاد فى المتقدمين من الشعراء والمحدثين ، وذهبت الأنهام فى هذا المعنى كل مذهب . بل ان هذا القرن الرابع شهد وضع القوانين النقدية ، والأصول المنهجية . وظهر كبار النقاد فى تاريخ النقد العربى القديم . فاذا صح ان الشعر العربى فى المشرق قد بلغ اوجه فى القرن الرابع ، وان كل عناصره الفنية قديمها ومحدثها قد تحدد واتضح فى العهد ما بين ابى تمام وابى الطيب المتنبى ؛ فصحيح كذلك ان نقد الشعر فى المشرق قد وصل الى ذروته فى هذا القرن ، وان اكثر ما يمكن ان يقال فيه قد قيل .

كان النقد فى القرن الرابع خصبا جدا . متسع الآفاق ، متنوع النظرات ، معتمدا على الذوق السليم ، مؤتنسا بمناحى العلم فى الصور والشكل لا فى الجوهر والروح . ان حلل فبذوق سليم ، وان علل فمنطق سديد ، وان عرض لفكرة اتى على كل ما فيها . وتزعم نقاد الشعر فى القرن الرابع ناقدان كبيران هما : ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، وهو من اهل البصرة ؛ وابو الحسن على بن عبد العزيز الشهير بالقاضى الجرجانى .

ومن الناحية السياسية ، عاش ابو الفرج الأصفهانى فى عصر غلبت فيه نزعات شتى : نزعة فارسية فى بغداد وما وراءها .

ونزعة أموية فى بلاد المغرب . ونزعة قومية فى حلب . ولابد فى غلبة النزعة الفارسية من نشوء الشعوبية . فقد نشأت الشعوبية وكان همها الأكبر الطعن على العرب فى كل مذهب من مذاهبها . كما تعددت الفرق الدينية . واشتمل الحوار والجدل على المستويين : السياسى والدينى . كما احتد على المستوى النقدى والفكرى والفنى .

وفى ميدان الفن بمعناه العام : من أدب وغناء وموسيقى ورقص وما الى ذلك . كان العصر مزدهرا بازدهار هذه الألوان الفنية . وكانت لمبدعيها مكانة لائقة ومحترمة . لدى الخاصة والعامة على السواء .

ولا يغرب عن بالنا أن حركة التدوين من ناحية ، والترجمة من ناحية أخرى ، قد ساعدا على تنشيط الحياة الثقافية بعامة . ولا شك أن أبا الفرج الأصفهانى قد اطلع على ما ترجم من الثقافات اليونانية والفارسية . فقد التقت هاتان الثقافتان وامتزجتا بالثقافة العربية امتزاجا ، لم يكن متوفرا فيما سبق من عصور . وهو ما يدفع الى الحركة والحيوية .

هذه هى الظروف التى أحاطت بظهور (الأغانى) . فكان نتاج عصره وزمانه .

وفى بيت يعنى أهله بالأدب وبالغناء نشأ أبو الفرج الأصفهانى . ومن ثم كان له باع فى الغناء طويل . وهذا لم يؤيده تأليفه فيه . وله رسالة مشهورة الى بعض اخوانه فى علل النغم . كما أنه دخل فى المناظرات . والمجادلات ، والمراسلات . والمشافهات التى كانت تجرى بين أئمة المغنين .

ويقال انه تتلمذ على أساتذة كبار كان لهم اثر عظيم فى تكوين شخصيته العلمية ، وفى اثرائه ثقافيا . ومنهم ابو بكر بن دريد . وابو بكر ابن الانبارى . والفضل بن الحباب الجمحى . وعلى بن سليمان الاخفش . ومحمد بن جرير الطبرى . وجعفر بن قدامة . واحمد بن جعفر حجظة . والحسن بن محمد . والحسين بن عمرو بن ابى الاحوص الثقفى . وغيرهم من رجال اللغه . والنحو والأدب ، والشعر ، والأنتساب . والاخبار ، والحديث . والتفسير . والتاريخ .

ولعل هؤلاء جميعا اسهموا فى تشكيل شخصية ابى الفرج الاصفهانى فى مختلف أحواله . كما تبين فى (الاغانى) . فتاره نجده لغويا بارعا يشرح غريب اللغة واسرارها فيما يسرده من سير وأشعار . ومرة تراه راوية حافظا فيما يسوقه من خطب وآثار . وطورا تلاحظه اخباريا جامعا فيما يرويه من مدح ونتف واخبار . وحينا تستمتع به وهو ميال الى الهزل والمجاء . حتى ان الناس فى عهده كانوا يحذرون لسانه ، ويتقون هجاءه ، ويصبرون فى مجالسه ومعاشرته . ولكن الأمر الذى لا شك فيه انه كان من الظرفاء . وان ظرفه هذا هو الذى جعل الوزير « المهلبى » والعظماء يرغبون فى منادمته .

ورغم أن الذين ترجموا لأبن الفرج الأصفهانى قد يزيد عددهم على اثنين وعشرين مؤرخا ؛ فان عدد الذين تأثروا به لا يحصى .

وممن تخرج عليه شيخ اندلسى قدم من الأندلس لطلب العلم

وارم أبا الفرج . وكان أبو الفرج يعظمه ، ويكرمه ، ويذكر ثقته « أبو زكريا الأندلسي » . ومنهم « ابن دينار » الذى قرأ عليه كل كتاب الأغانى . وكذلك ابراهيم بن احمد بن محمد الطبرى . وعلى بن احمد الرزاز . وابو الحسن على بن محمد .

وما يزال الناس يتأثرون بأبى الفرج من خلال كتابه (الأغانى) ذى المسيرة الطويلة ، والرحلة الخالدة ، والتأثير الممتد . فهو كتاب نظل نشعر دائما بحاجتنا المتصلة اليه ، واستفادتنا المستمرة به ، مهما بلغت احاطتنا ومعرفتنا بتاريخنا وعاداتنا وحضارتنا وأدبنا وشعرنا وغنائنا . ومهما كثرت المؤلفات الحديثة او تنوعت .

ونحن سوف نحاول فيما بقى من صفحات أن نشير الى اشعاعات كتابه ، وامتداد تأثيره ، والى الخطوات التى مر بها طوال رحلته المتواصلة . فلولا ما انفرد به هذا الكتاب المميز ماتمكن قط من ان يشق طريقه عبر مسيرة حافلة على صفحات تاريخنا .

واظن ان أول محطة توقف عندها (الأغانى) ، كانت أواخر القرن الثالث عشر الميلادى . عندما شكا الملك « المنصور محمد بن عمر المظفر الأيوبى » صاحب « حماة » من طول (الأغانى) وكثرة أسانيده ، وكثرة اسماء الأصوات والألحان فيه . فتقدم الملك المنصور الى عالم جليل من اصحابه هو « جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموى » المعروف بابن واصل الحموى . وطلب اليه ان يحذف ما كان يرى فيه من الفضول .

يقول « ابن واصل الحموى » فى ذلك :

(فانى لما اويت من الاحسان السلطانى الملكى المنصورى — خلد الله سلطانه ، وأذل شانيه واعلى شانه — الى ظله الظليل . وماثل على صيب انعامه الواكف الجلل ؛ فزت بخدمة ملك كمل الله خلقه كما كمل اخلاقه ، وزكى ذاته الشريفة كما زكى اصوله واعراقه ؛ فهو — اعز الله انصاره — مغرى بلكتساب الفضائل . مغرم بأهلها . لهج باقتناء المحامد مؤثر نظم شملها . واتفق انه ذكر بمقره العالى — الذى هو محط الفضل والافضال . واليه بشد الرحال ذوو الآمال — كتاب ابى الفرج الأصفهانى المعروف بالأغانى الكبير ، وما احتوى عليه من الفضل الغزير والعلم النثير ؛ غير انه قد شانه بذكر الأصوات . وما احوت عليه من انواع النغم والايقاعات ، مما لا فائدة فى ذكره ، اذ كان المباشرون لهذه الصناعة فى زمننا هذا انما يعرفونها عملا لا علما ، وغيرهم فلا ينتفعون بشىء مما ذكر ولا يحيطون به فهما . فخرج امره المطاع — اعلاه الله — بأن يجرد من ذلك كله ومن الأسانيد والتكرارات . ومما لا فائدة فى ذكره من الأخبار والاشعار المشتركات . ويقتصر على غرر فوائده ، ودرر فرائده) .

وهكذا يتم الشيخ ابن واصل الحموى ما تقدم اليه به الملك المنصور . فكان كتاب (تجريد الأغانى) الذى عرض فيه ابن واصل الحموى كتاب (الأغانى) من جديد : بما فيه من قصص رائعة كثيرة ، وتاريخ زاخر نافع ، وادب واشعار ، دون تكرار . فاذا

بالأغانى يقرأ فى غير جهد ، ولا اضاعة للوقت ، ولا تكلف لما لا يحب البعض .

ومن أجل هذا كان (تجريد الأغانى) ليقراه اوساط المثقفين للعلم ، وليقراه خاصتهم للموازنة بينه وبين الأصل الذى اختصر منه ، وهو بعد ذلك لا ينفى كون كتاب (تجريد الأغانى) لابن واصل الحموى هو ذاته كتاب (الأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى . ابقى منه ما ابقى — وهو كثير — فى أمانة ودقة . وحذف ما حذف — وهو عسير — دون اخلال . بل فى حسن تقدير .

ذلك ان كتاب (الأغانى) الف فى القرن الرابع لقوم لم يكن مقترا عليهم فى الوقت ولا فى الجهد ولا فى الفراغ . لم تكثر حاجاتهم . ولم يشتد اضطرابهم فيها . ولم تعجلهم المنافع والضرورات عن التفرغ للعلم والجد فى سبيل المعرفة . ومن اجل ذلك كله آثروا كتاب (الأغانى) وكلفوا به ، وتنافسوا فيه ، ورأوا صرحا متينا من صروح الأدب العربى ، قد جمع لهم جمعا متقنا . فوفر عليهم كثيرا من الجهد فى طلب العلم ، ويسر لهم تحصيله . وهم قارون وادعون . ثم يجىء (تجريد الأغانى) ليؤدى نفس الدور لقوم تختلف ظروف حياتهم .

وبهذه المناسبة ينبغى الاشارة الى ان أول من فكر فى اختصار (الأغانى) لنفسه ، تيسيرا وتسهيلا ، كان « ابن المغربى » أبو القاسم بن على بن الحسين ، المعروف بابن المغربى .

مولده بمصر سنة ٣٧٠ هـ . قتل الحاكم اباه . فهرب الى الشام ثم انتقل فى بغداد والموصل . واستوزره مشرف الدولة البويهى اشهرا ثم عزله . وكانت وفاته سنة ٤١٨ هـ] . لما ولى الوزاره . اختصر « الأغانى » واحبه . وصار له به غرام عظيم . وافرط فى تقريظه ومدحه فى خطبة مختصره حيث قال : (انه لم يقف على مصنف لأحد احسن منه ، وانه اختصره لأجل سفره ليصغر حجمه) والحقيقة التى تبقى جلية لا تقبل ادنى شك . هى ان (الأغانى ، لا يتوقف سيره ، ولا ينقطع تأثيره . ولا يخفت له شعاع من ضوء . ولا يملك السائر فى طريق الأدب واللغة والتاريخ : الا ان يصحبه معتمدا عليه ، مستندا اليه ، مستمعا له مستمتعا به . واعيا بكل ما يشير اليه .

ولا يخفى أن كثيرين حاولوا تلخيص كتاب الأغانى . احساسا منهم بسعته ووفرة مادته . بل ان أبا الفرج الاصفهانى نفسه أقدم على هذا العمل فى كتاب أسماه « مجرد الأغانى » ضاع ولم يصلنا . ثم لا ننسى ما قام به جمال الدين محمد بن مكرم ، المعروف بابن منظور (ت ٧١١ هـ — ١٣١١ م) صاحب معجم (لسان العرب) . فقد لخص كتاب الأغانى ، ورتبه على حروف الهجاء ، واسماه (مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى) . وجاء فى ثمانية أجزاء . أوقف الجزء الثالث منه على اخبار ابى نواس . وكان أبو الفرج الأصفهانى قد اهمل الترجمة له . وقد طبع « مختار الأغانى » كاملا فى القاهرة ، محققا تحقيقا علميا .

وثمة محاولة اخرى للعالم المغربى السلوى بن عبد الرحمن

الاندلسي الفاسي ، استجابة لرغبة السلطان المغربي محمد بن عبد الله العلوي ، بمثل ما طلب الملك المنصور محمد من صديقه ابن واصل الحموي ، القيام بتجديد نسخة من كتاب الاغاني وتحريرها وتصحيحها وتهذيبها وتنقيحها وتحقيقها ؛ لتكون للسلطان تذكرة ، ولغيره من العلماء عبرة . لكن السلوي اضاف ما اختاره السلطان من كلام المولدين ، وما انتخبه من أشعار المحدثين مما تحسن اضافته ، وتستحسن روايته ودرايته . وذلك في اوائل محرم من عام ١١٨ هـ .

ومما طلبه السلطان ايضا حذف الاشارات الموسيقية ومصطلحات الاغاني « لأنها اصطلاح فهيم ذهب بذهاب اربابه ، وانقرض بانقراض اهاليه واصحابه ، واضمحل فلم يوقف له على خبر ، ولا بقيت له عين ولا اثر ، الا ما يذكر من ذلك على سبيل الحكاية ، كالاشياء الغريبة التي لا تعرف لها حقيقة ولا يوقف لها على غاية » . كما حدد له ضرورة ان يعيد ترتيب التراجم التي وردت في كتاب الاغاني « بتأخير ما يستحق التأخير منها وتقديم ما يستحق التقديم ، وابقاء بعض منها بمركزه الذي هو به ، وان يفتتح كل سفر من أسفاره الخمسة والعشرين بشاعر كبير من فحول الشعراء ، او بسيد جليل من السادة الكبراء » .

وجدير بالذكر ان السلطان عين لابتداء السفر الأول « اشعر شعراء الاسلام ، واحمدهم طريقة واسرعهم بديهة ، واعلمهم بمسالك الكلام واساليبه حسان بن ثابت شاعر الرسول عليه

السلام » وامر بتقديم تراجم الشـــعراء على ما اتصل بها من الأصوات والأشعار ، ومن النكت واللطائف والأسرار . واطلق على هذا الكتاب اسم « ادراك الأمانى من كتاب الأغانى » ، فى خمسة وعشرين جزءا ، يوجد منها بمكتبة القصر الملكى بالرباط واحد وعشرون جزءا .

هناك محاولة متأخرة فى العصر الحديث قام بها الشـــيخ محمد الخضرى ، حين نشر (تهذيب الأغانى) فى ثمانية أجزاء . وكانه يصنفه تصنيفا جديدا ؛ لأن ابا الفرج — فى زعمه — لم يرتب شعراءه ولا مغنيه ترتيبا مفيدا . كما أن هناك بعض النقص فى رواية الشـعر . وبعض التحريفات والتصحيفات التى تحتاج الى اصلاح . وقد سمح الشيخ محمد الخضرى لنفسه أن يحذف فى مهذبه كثيرا من فاحش الحكايات التى كانت بيئة ابى الفرج تسمح بذكرها ، ولا تتفق وبيئة الشـــيخ الخضرى . كذلك فانه حذف الأسانيد التى ان افادت فى رواية الأحاديث الدينية فلا فائدة منها فى رواية الأحاديث الأدبية . ويعترف الشيخ محمد الخضرى بانه بدأ فى عمله هذا مهذبا الأغانى منذ سنة ١٩٠٩ حتى نشره فى سنة ١٩٢٦ .

ولقد أثار هذا العمل حملة شـــديدة من النقد ضد الشيخ الخضرى ، حمل لواءها طه حسين فى الجزء الثالث من (حديث الأربعاء) وعبد الرحمن محمود فى المجلد السادس والســتين من مجلة (المقتطف) . وكتاب الأغانى هو اكثر كتب الأصول حظا

بالدرس والبحث . فنى هذا الكتاب الف شفيق جبرى دراسة تناول فيها نقاطا عديدة مشتتة لا يجمع بينها جامع سوى انها وجدت طريقها عنده . كما انه عاد فنشر كتيبا آخر فى سلسلة « نوابغ الفكر العربى » التى تصدرها دار المعارف ببيروت باسم : كتاب ابو الفرج الأصبهانى .

كما نشر محمد عبد الجواد الأصمعى دراسة وضعية فى كتاب الأغانى ، تقوم على الجمع والتدقيق فى الروايات والأسانيد ، أكثر مما تقوم على الآراء الشخصية . ونمة كتاب آخر هو (صاحب الأغانى أبو الفرج الاصفهانى الراوية) لمحمد احمد خلف الله . يدرس فيه دراسة علمية منهجية كتاب الأغانى ومؤلفه والجو الذى نشأ فيه ، وتأثير هذا الجو فى آدابنا .

وجدير بالذكر أن عيون ادبائنا الكبار تفتحت على كتاب الأغانى عندما ظهر مطبوعا لأول مرة فى عالم المطبوعات سنة ١٨٤٠ . اذ تداوله العلماء من قراء العربية . وتبينوا قيمته وأهميته . وادركوا الجهد المبذول فيه . والفائدة التى يمكن أن تعود على قارئه ودارسه . وكان الجزء الأول منه قد طبع فى احدى المدن الألمانية Greifswald ومعه ترجمة باللغة اللاتينية للعلامة المستشرق الألمانى « مسيو كوز جارتن G.L. Kosegarten ١٧٩٢ — ١٨٦٠ . ويقع القسم العربى منه فى ٢٣٨ صفحة من حجم الأغانى . وينتهى عند اخبار « ابن محرز ونسبه » ، وآخر صفحة فيه تتفق مع صفحة ١٥٢ من الجزء الأول فى طبعة بولاق ، وصفحة ٣٨٢ من

طبعة دار الكتب . وكل كلماته مضبوطة بالشكل الكامل .

أما اولى طبعاته فى عالمنا العربى ، فقد كانت تلك الطبعة التى اقدمت عليها مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٢٨٥ هـ — ١٨٦٨ م . فى عشرين جزءا . اضاف اليها المستشرق « رودلف برونو R.E. Brunow الجزء الواحد والعشرين الذى قام بنشره فى ليدن عام ١٣٠٦ هـ — ١٨٨٨م . وهذا الجزء ليس من تجزئة ابى الفرج ، وانما هو مجرد زيادات عثر عليها برونو فى عدة نسخ مخطوطة بمكتبة برلين وغيرها ، عند مراجعته طبعة بولاق على هذه الأصول ، فجمعها وجعل منها جزءا مستقلا ، اعطاه اسم الجزء الواحد والعشرين .

وبهذا اصبح كتاب الأغانى بين ايدينا : قراء ودارسين وباحثين وعلماء وادباء وطلاب . مما اتاح له تواصلا واستمرارا : فمنهم يقطع اشواطا جديدة فى رحلته الطويلة . وبخاصة ان العلامة المستشرق الايطالى « جويدى I. Guidi ١٨٤٤ — ١٩٣٥ ، تكفل بعمل فهارس هجائية وافية للكتاب . وهى تيسر مهمة القراءة والاطلاع والبحث . وقد طبعت الفهارس باللغة الفرنسية فى مجلد ضخم على حدته بمدينة « ليدن » سنة ١٩٠٠م . وهو يشتمل على اربعة فهارس . الأول فى اسماء الشعراء . والثانى فى القوافى . والثالث فى اسماء الرجال والنساء والقبائل وغيرها . والرابع فى اسماء الأمكنة والجبال والمياه . وعلى الرغم من ذلك فان هذه الطبعة خالية من النظام والترتيب ، حافلة بالأخطاء والتحريف .

وقد قام الحاج محمد الساسى التونسى باصدار الطبعة الثانيه من الكتاب فى القاهرة عام ١٩٠٣ . ويرمز الى هذه الطبعة عادة بطبعة ساسى . وهى اعادة لطبعه بولاق الأولى . اضاف اليها الناشر الجزء الواحد والعشرين الذى نشره المستشرق برونو . وترجم الفهارس التى وضعها « جويدى » باللغة الفرنسية الى اللغه العربية ، ونشرها فى اربعة مجلدات .

ويشير الدكتور الطاهر مكى فى كتابه (مصادر الدراسة الأدبية) الطبعة الخامسة ــ دار المعارف ١٩٨٠ صفحة ٢٠٧ الى أن الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى كان يملك نسخة من مطبعة بولاق . وانه حجة فى العلم بغريب اللغة وانساب العرب . فقام بتصحيح نسخته الخاصة مدونا تصحيحاته على الهامش او فى ثنايا السطور ، يكشط الكلمة المحرفة ثم يعيد كتابتها بدقة ، او يصلح المغلوط ، او يعجم الحرف المهمل ، ويهمل المعجم ، بكشط نقطة او يضيفها . ولما كان شيخ المروبة احمد زكى يملك نسخة من كتاب الأغانى من طبعة بولاق ، فقد طلب الى محمد عبد الجواد الأصمعى ، ان يصحح له نسخته على نسخة الشنقيطى المحفوظة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٤٤ ، ادب ش) ؛ ورأى فيما بعد ان يجمع هذه التصحيحات ويطبعها فى كراسة مستقلة مع الاشارة الى رقم الصفحة والسطر ، فى كل من طبعتى بولاق والساسى ، ليستفيد بها كل من توجد لديه نسخة من كتاب الأغانى ؛ سواء اكانت الطبعة الأميرية ام العامية . وقد طبعت هذه التصحيحات على هيئة جداول ليسهل مراجعتها . وصدرت فى عام ١٩١٦ م .

وفي سنة ١٣٤٥هـ — ١٩٢٧م باشرت دار الكتب المصرية طبع الأغاني طبعة علمية محققة لم يصدر منها الا ١٤ جزءا حتى ١٩٥٨ بتحقيق احمد زكي صفوت . ولا شك في ان هذه الطبعة تفوق سابقتيها باشياء كثيرة . فهي تعتبر ادق طبعة واوفاها . مستقيمة ، مضبوطة اللفظ ، مشروحة الغوامض ، مزودة بالفهارس التفصيلية في نهاية كل جزء . وقد صدر الجزء الأول بتصدير في صناعة الغناء وتاريخها . وهو فصل ماخوذ من مقدمة ابن خلدون . مع ترجمة وافية لأبي الفرج رجع فيها كاتبها الى جميع المصادر القديمة والحديثة . مع دراسة تاريخية نقدية للكتاب .

كذلك فان طبعة دار الكتب المصرية من كتاب الأغاني روجعت على ثماني نسخ من الكتاب عرضتها اللجنة القائمة بالتحقيق عرضا علميا واضحا . اما الجزء الحادي والعشرون الذي اضافه رودلف برونو فان اللجنة تشك في نسبته لأبي الفرج . وذلك لأسباب تعود الى ضعف الأسلوب . ولأن برونو لم يصدره بمقدمة يبين فيها اصل النسخة التي نشره عنها .

ومن ميزات هذه الطبعة ايضا ، ترقيم الكتاب ، وضبط الأعلام، والغريب ، والشعر . وبيان الأماكن ، والألفاظ الدخيلة ، والروايات المختلفة في نسخ الأغاني . وثمة جدول حافل بالكتب التي استعانت اللجنة بها في تصحيح الأغاني . وكلها مرتب ترتيبا ابجديا .

ثم قامت وزارة الثقافة في مصر باعادة نشر كل ما سبق ان

نشرته دار الكتب المصرية ، بعد أن نفدت أغلب أجزاء الكتاب المطبوعة ، وكثر الاقبال عليه واشتدت حاجة الناس اليه . وذلك عن طريق تصوير مطبوع دار الكتب . وبسرته لجمهور المثقفين باسعار زهيدة للغاية .

وما لبث أساتذة الأدب واللغة من ناحية ، والمبدعون من الكتاب من ناحية أخرى ، ان استلهموا كتاب (الأغانى) . فراحوا ينهلون منه . وينصحون بقراءته ، وذلك قبيل الاقدام على دراسة الأدب العربى . بل قبل الاقدام على الاشتغال به : خلقا أو نقدا أو تاريخا او دراسة للمجتمع العربى ومظاهر حضارته .

ونلمح تاثيره فى الكاتب المرحوم « عبد العزيز البشرى » . بل نلمح (الأغانى) فى كثير مما كتبه هذا الأديب نثرا . من حيث لغته ، وطرائقه ، ونوادره ، وتهكمه . وقد استفاد البشرى بالجانب الساخر فى كتابات أبى الفرج . وقد عرف عنه ذلك فيما عرف .

ولم يجد الدكتور طه حسين ملمحا اظهر من تاثير (الأغانى) فى عبد العزيز البشرى عندما قدم لكتابه (المختار) حيث وصفه بقوله : (انه بغدادى الأدب كاشد ما يمكن أن يكون الأديب بغداديا قد عاشر أبا الفرج الاصفهانى واصحابه فاطال عشرتهم وتاثر بهم ، وانطبعت نفسه وعقله ولسانه بطابعهم فهو اذا تحدث الى المثقفين تحدث بلغة (الأغانى) لا يكاد يصرفه عن هذه اللغة صارف) .

ولا يحتاج كتاب (الأغانى) الى البحث عن الأدلة التى تثبت هيمنته وسيطرته على كثير جدا مما كتبه جورجى زيدان فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) الى الحد الذى جعل الدكتور زكى مبارك يتهم جورجى زيدان بأن اعتماده على (الأغانى) جره الى الحط من اخلاق الجماهير فى عصر الدولة العباسية ، وحمله على الحكم بأن ذلك العصر عصر شك وفسق وفجور ومجون .

أما تأثير كتاب (الأغانى) فى المرحوم الدكتور طه حسين فانه لم يقف عند حد . ولعل الكلمة التى استشهدنا بها فى مقدمة هذا الحديث ، تكفى كاشارة ضوء هادية الى تلمس الطريق لذلك التأثير العظيم . ويكفى ان طه حسين فى الجزء الثانى من (حديث الأربعاء) ص ١٣٠ طالب العرب جميعا بأن يقدروا هذه النعمة الجزيلة التى اتيحت لهم حين حفظ لهم الدهر كتاب الأغانى (لأنه الكتاب الوحيد الذى يتخذونه مصدر خير لمن يريد منهم ان يدرس الحياة الأدبية والاجتماعية فى عصر الدولتين الأموية والعباسية) .

ورغم ما قد يبديه طه حسين فى (حديث الأربعاء) من اختلاف فى النظر الى الشعر ورواية الأحاديث والأخبار والقصص والتاريخ ، عن أبى الفرج الأصفهانى ؛ فانه دائم الحرص على جعله مصدرا أساسيا من مصادره ، وعلى الاشارة اليه فى منهجه . والاستناد الى رأيه فيما يتصل ببعض الشخصيات الأدبية ، وبعض الظواهر الفنية .

واذا كان طه حسين فى (حديث الأربعاء) يذهب الى ان

مقالاته وبحوثه قد ، حلت ناحية من نواحى تاريخ الأدب العربى لم تكن واضحة ولا بينة . وان فيها ضربا من مناهج البحث احسب ان الأدباء لو ينهجونه لاستطاعوا ان يستغلوا هذه الكنوز القيمة التى لا تزال مجهولة والتى نشأ من جهل الناس اياها غضهم من الأدب العربى وانصرافهم عنه فى انفة وازدراء ! ، فان الفضل فى كل ذلك ليس لطه حسين ؛ وانما هو لصاحب الفضل الأول (الأغانى) . اذ ان أسانيد الأغانى واضحة وبسماته جلية فيما كتبه طه حسين متعلقا بالأدب القديم ؛ وبالحياة الأدبية والاجتماعية فى العصرين الأموى والعباسى .

متى كتاب (حديث الأربعاء) وحده ، نلاحظ ذلك . ومنه على سبيل المثال :

* عندما تناول طه حسين شعراء المجون والدعابة وطلاب اللهو واللذة . وابان تتبعه حياتهم واثر اسرافهم ومجونهم فى حياتهم العقلية . وما كان بين ذلك وبين حياتهم الاجتماعية والسياسية من صلة .

* عندما قسم شعر الغزل الى ثلاثة اقسام مختلفة . الأول : غزل العذريين الذين كانوا يتفنون فى شعرهم هذا الحب الأفلاطونى العفيف . كجميل بثينة ، وكثير عزة ، وقيس بن الملوح او مجنون بنى عامر ، وقيس بن ذريح ، والعرجى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، والأحوص بن محمد الأنصارى ، ويزيد بن الطثرية . والثانى : غزل الاباحيين الذين كانوا يتفنون الحب ولذاته العملية

وزعيمهم عمر بن أبى ربيعة . وغيره ممن هم أكثر فجورا وأشد مجونا وأقل حرصا على الاستتار . كالعباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد ، والحسين الخليع ، والرقاشى ، وأبو نواس . وكانوا ينتقلون بمعاصيهم وآثامهم بين بغداد ، والكرخ ، والبصرة ، والكوفة ، والرقة . لا يستترون فى معصية ، ولا يكفون عن فاحشة . ياخذون اللذة حيث وجدوها ؛ فاذا أخذوها لم يتركوها حتى تتركهم . كانوا لا يخشون فى ذلك دينا ولا خلقا ! والثالث : الغزل العادى ، الذى ليس هو فى حقيقة الأمر الا استمرارا للغزل القديم المألوف أيام الجاهليين ، الذى لا يقصد لذاته ؛ وانما يتخذ وسيلة الى غيره من فنون الشعر ، الى المدح والوصف والهجاء ونحوها .

* ولم يبن طه حسين موقفه من « قيس بن الملوح » الا على ضوء ما ذكره (الأغانى) كحجة يدعم بها قوله فى رفض وجود شخصية المجنون . يقول : (ماذا تقول فى رجل يريد أبو الفرج الأصفهانى ان يروى اخباره لأن شروط كتابه تضطره الى ذلك ؛ فيعلن ويبالغ فى الاعلان انه يخرج من عهدة هذه الأخبار ويتبرأ منها ، ويضيف هذه العهدة الى الرواة الذين ينقل عنهم) .

وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن أبا الفرج كان حذرا الى حد كبير فى رواية الأخبار ، وفى اطلاق الأحكام ، مما يجعله حريصا على نسبة كل رواية الى راويها وكل قول الى قائله . ولعل هذا كان واحدا من الأسباب التى استند اليها طه حسين فى تدعيم رفضه وجود شخصية المجنون .

* وقد اعتنق طه حسين رأى ابى الفرج — كما ذكرنا — واقام عليه شكه فى شخص « وضاح اليمن » وأمره ، وشعره ، واخباره . لا لشىء الا لأن ابا الفرج فى (الأغانى) أشار الى أن قصته وضعها أحد الشعوبية . (انظر : حديث الأربعاء — الجزء ٢ — ص ٢٣٩) .

* كما أن طه حسين اقام حكمه على ان العصر العباسى اتسم بالشك فى كل شىء ، والعبث بكل شىء ، والاسراف فى المجون واللهو . وكأنه كان سمة الناس فى ذلك الزمان . فكانت الكأس تدار ، والاثم يقترف . كما كان الحديث العذب شعرا ونثرا : فى الدين واللغة والفلسفة . وقد اهتدى طه حسين بكتاب (الأغانى) وحده فى هذا .

* وما ان حاول طه حسين القصدى لعبيد الله بن قيس الرقيات حتى لم يجد أمامه غير كتاب (الأغانى) رغم انه لم يوف هذا الشاعر حقه . ويعترف طه حسين قائلا : (وأنا احب أن تقرأ اخبار هذا الشاعر فى كتاب ابى الفرج فستشعر بشىء شعرت به وهو انه حلو النفس خفيف الروح عذب الشعر خصب الخيال قويه ، وستشعر بأن ابا الفرج قد قصر فى ذات هذا الشاعر فلم يرو من شعره الا أطراف موجزة مقتضبة كل اثرها فى نفسك هو ان تستثير الاعجاب والأسف على أن ما حفظ من شعره قليل) . ص ٢٥٠ .

معنى هذا ان تاثير كتاب (الأغانى) فى كتابات طه حسين ،

لا يقف عند حد معين . واذا اصطحبنا (الأغانى) فى رحلته عبر كتابات الدكتور شـــوقى ضيف : فان الرحلة سوف تطول بنا ، وتتعدد مواقف الانتظار ، ومناطق العبور . وقـــد بدات رحلة (الأغانى) معه منذ سنى دراسته العالية ، حين التهم الكتاب بكل اجزائه فى اجازة صيف دراسية .

بعدها كان (الأغانى) هو الينبوع الثر الغزير الذى نهل منه الدكتور شوقى ضيف حينما قدم (الفن ومذاهبه فى الشعر العربى) و (التطور والتجديد فى الشـعر الأموى) . وفى أول مارس ١٩٤٩ درس (الشعر الغنائى فى الأمصار الاسلامية) منطلقا من كتاب (الأغانى) ليس غير . حيث تتكشف ملامح هذا الكتاب فى محاولة الدكتور شـــوقى ضيف تصنيف الشـــعر العربى الى صورتين متقابلتين : صورة تقليدية تعتمد على رســـوم وتقاليد كثيرة . وصورة غنائية تعتمد على العزف والضرب على الآلات الموسيقية . الصورة الأولى معقدة . والثانية لا تعقيد فيها . اذ تدور حول الحب وروائعه . ولم تكن تقال لتنشـد ، وانما كانت تقال لتغنى وتصحب بالعزف والضرب على الأدوات الموسيقية . وهذا الضرب هو الذى احتفل به أبو الفرج الأصفهانى فى (الاغانى) .

أما كتاب الدكتور شوقى ضيف (العصر العباسى الأول) : فان لكتاب (الأغانى) به نصيبا أجل وأعظم : فى الاســتناد الى الروايات ، وفى الاســتشهاد بالشـعر : وفى ســرد تاريخ حياة الشعراء ، وفى وصف الحياة الاجتماعية والعقلية والاقتصادية .

فقد بدأ كتابه بدراسة الحياة العباسية التى فرضت نفسها على الأدباء العباسيين فرضا . سواء الحياة العباسية وما كان يجرى فيها من نظم واحداث مختلفة . أو الحياة الاجتماعية وما كان يشيع فيها من تحضر وترف وشغف بالغناء واغراق فى المجون وزندقة وزهد ونسك ، أو الحياة العقلية وما النحم واغراق فى المجون الثقافات الأجنبية ، ونشاط الحركة العلمية ونقل علوم الشعوب المستعربة ، ووضع العلوم اللغوية ، والتاريخ ، والعلوم الدينية والكلامية .

وانت تجد كتاب (الأغانى) قد تمهل ببطء فى ثنايا فصول هذا الكتاب . وترك بصماته جلية على تصوير الحياة ؛ والحكم على الوان السلوك ، والنماذج المختارة ، والشواهد ، والأدلة . وكذا الأحكام النقدية ، وتحديد الملامح الشعرية .

واصطبغ تحديد الدكتور شوقى ضيف للملامح والملكات الشعراء بصبغة أبى الفرج الأصفهانى فى (الأغانى) .

انظر رايه فى تأثير الغناء المستحدث فى موسيقى الشعر والحانه ؛ حيث ساد نظم المقطوعات القصيرة فى الغزل . حين أخذ الشعراء يصنون موسيقاهم حتى غدت بعض تلك المقطوعات انغاما خالصة . وقد مضى شعراء الغزل يعدلون غالبا عن النظم فى الأوزان الطويلة المعقدة ؛ الى النظم فى الأوزان الخفيفة البسيطة . فمن جهة صفيت لغة الشعر وبلغت كل ما يمكن من رشاقة وعذوبة ونعومة ؛ ومن جهة ثانية لتسعت الملاءمات الموسيقية

العروضية مع الغناء ؛ فاذا القصيدة الطويلة تكاد تختص بالشعر الرسمى : شعر المديح والرثاء . بينما تشيع المقطعات فى الغزل والهجاء والمجون والزهد والحكم .

ورايه فى حـــذق الشعراء الموالى لغة الشعر ، واستيعابهم مقوماتها وخصائصها ، نافذين الى أسلوب مولد جديد ، اعتمدوا فيه على الألفاظ الواســـطة بين لغة العامة المبتذلة ولغة البـــدو الجافية . واقرأ تفسيره لشيوع شعراء المجون والزندقة ؛ نظرا لما شاع من فساد الأخلاق ، وكثرة النحل ، والمقالات ، والمذاهب الدينية ، والفلسفية . من أمثال « حماد عجرد » الذى كان يخلط مجونه بزندقة أشربتها روحه . و « مطيع بن اياس » ، الذى كان من أكثر الشعراء مجاهرة بالفسق والعصيان . و « صالح بن عبد القدوس » الذى لم يكن ماجنا ، وانما كان زنديقا كبيرا . اذ كان يعتنق عقيدة الثنوية المانوية ويجاهر بها ، ويجادل ، ويناظر ؛ الى أن أمر الرشيد بضرب عنقه .

وأيا ما كان الأمر ؛ فان (الأغانى) موجود بكل ثقله فيما كتبه الدكتور شـوقى ضيف .

هناك غير باحث ودارس ممن تعرضوا لأدبنا العربى فى عصوره المتقدمة ، كان حظهم من التاثر بكتاب (الأغانى) كبيرا . وان اختلفت رؤاهم فى بعض الأحيان ، نتيجة طبيعية لاختلاف العصر والثقافة ومناهج البحث الأدبى . لكنهم — فى الأغلب الأعم — جعلوا هذا الأثر الخالد نصب أعينهم وهم يؤرخون ، ويبحثون ،

فى ادبنا وحضارتنا . نذكر منهم على سبيل المثال : الدكتور يوسف خليف ، والدكتور احمد الحوفى ، والسباعى بيومى ، وعباس محمود العقاد فى (جميل بثينة) و (أبو نواس) ، وعبد الرحمن صدقى فى (الحان الحان) واحمد ضيف ، ومحمد زغلول سلام ، والدكتور النعمان عبد المتعال القاضى فى رؤيته العلمية الدقيقة للأدب والفكر والسياسة والدين فى العصور المتقدمة . ونحن بطبيعة الحال لن نستطيع احصاء عدد الذين استندوا الى كتاب (الأغانى) واعتمدوا عليه ، وتأثروا به ، فى كل ارجاء الوطن العربى .

اما فى ميدان الابداع الفنى والأدبى : فان (الأغانى) يجد لنفسه صدرا رحبا لدى أكثر من كاتب مبدع .

فالكاتب الكبير محمود تيمور ، كان قد استفاد من (الأغانى) عندما اطلق رايه المعروف بان القصص نشأ عند العرب . واستشهد لذلك بما رواه أبو الفرج الاصفهانى من أيام العرب ، التى جمع منها الفا ومائتين يوم . منها حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان . ومنها حرب البسوس بين بكر وتغلب . وحرب الفجار بين بشر وكنانة .

يقول « محمود تيمور » : (واننا لنقرا ما ابقت لنا الأيام من هذه الأيام ، فاذا نحن نقرا وصفا رائعا وشعرا بليغا تتجلى لنا فيه حياة العرب فى مجتمعهم البدوى ، ونتعرف ما طبعوا عليه من اخلاق ، وما توهج فيهم من غرائز . وفى هذه الأيام نرى مشكلات

انسانية تتعقد ، كتلك المشكلة التى تبدو فى حرب البسوس : اذ يعمد شاب الى زوج أخته فيقتله ؛ وهنا يحسم الأمر على والد الشاب أن يخوض غمار الحرب بين حيه وحى أصهاره ، وتحار الزوجة بين عاطفتها لزوج قتيل وعاطفتها لأخ واتر مطلوب دمه ، وهناك أخ للقتيل ينوح عليه ويدعو الى الثار له) .

ويذكر محمود تيمور أكثر من مثال انتقاه من كتاب (الأغانى) ؛ ليدلل عـلى فكرته التى راح ينشرها فى كتابيـه (فن القصص) و (الأدب الهادف) ، معتمدا اعتمادا رئيسيا على (الأغانى) .

وبفضل (الأغانى) وقف محمود تيمور على جانب طريف من القصص فى أحاديث العرافين والكهان من رجال ونساء : « شق » و « سطيح » و « عفيراء » و « الشمعثاء » . والجانب الخرافى العجيب الغريب لصورة « شـق » . فهو نصف آدمى . له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . وهو من المتشيطنة .

وبعد استيعاب تام للأغانى ، ينتهى محمود تيمور فى (فن القصص) ص٦٦ الى القول :

(انى لأومن اليوم ، بأننا نزاول فن القصة بألوان شتى من وراثات عربية اصيلة ، فأعمالنا القصصية العصرية تحمل لقاحها من أدبنا العريق ، ومن قصصنا الشرقى التليد . على هـذه القصص العصرية التى نكتبها ، تنبسط من ذلك الأدب القصصى القديم ظلال واطياف ، بل تمتد جذور وأعراق . لا ريب عندى

فى اننا نفكر فى موضوعاتنا القصصية ، ونعالج كتابتها ، بباعث من تلك الوراثات المتأصلة : فانها تتسرب فى مشاربنا واذواقنا واتجاهاتنا ، بكل ما فيها من قوة واصالة وتأثير) .

ونحن نختلف مع كاتبنا الكبير محمود تيمور فى هذا القول على اطلاقه . وليس المجال هنا هو مجال مناقشته تفصيلا . وقد وقفنا طويلا عند هذه القضية فى حديثنا عن « رحلة المقامة العربية ». ولكنا هنا — فقط — نثبت اعتماده على (الأغانى) مما يدعم قولنا بامتداد هذا الكتاب حتى عصرنا الحديث .

وعندما فكر محمود تيمور فى كتابة مسرحية (ابن جلا) ثم « اليوم خمر) لم ينس قط مصدره المفضل (الأغانى) . فى اختيار الحدث ، والشخصيات ، والأماكن ، والمغزى العام ، والأزياء ، والأشعار .

وعلى نحو ما فعل محمود تيمور ، سار محمد فريد أبو حديد فى (ابو الفوارس عنترة) و (الملك الضليل) .

وكذلك فعل جورجى زيدان فى رواياته التاريخية التى تتعرض لبعض الأحداث المستمدة من التاريخ الاسلامى الكبير .

وغير هؤلاء من المبدعين كثيرون ، ممن لا سبيل الى الشك فى انهم وضعوا كتاب (الأغانى) تحت ايديهم عندما كانوا يكتبون ، متأثرين بما رواه ، معتمدين على ما قصه وحكاه ، مبتكرين فى الشكل ، والأسلوب ، وطريقة المعالجة ، بطبيعة الحال .

وكتب التاريخ التى تناولت العصرين الأموى والعباسى تأثرت هى الأخرى بكتاب « الأغانى » ، وبوجهة نظره ، فى بعض الأحيان ، وبما حفل به من شخوص ووقائع ، ومواقف .

وكذلك دارسو الموسيقى ، والغناء ، والحضارة ، والمجتمع ، ونظم الحكم والأزياء ، والعمارة ، والديكور ، والنسيج . و . و .

ونحن اذا حاولنا مجرد الاشارة الى اسماء المؤلفين ، والى عناوين المؤلفات ، التى امتد تأثير (الأغانى) اليهم واليها ، لاستغرق منا ذلك وقتا طويلا .

ويبقى ما سبق أن اكدناه فى البدء ، من أن كل اديب أو دارس للأدب . كل مؤلف او مفكر او مؤرخ ، يشعر بانه فى حاجة ماسة ودائمة الى معاودة الاطلاع على هذا الكتاب واستيعابه . فان مكتبتنا العربية الحافلة بآلاف مؤلفة من الكتب فى شتى الميادين المرتبطة بحضارتنا العربية ، وتراثنا ، وحياتنا ، وتقاليدنا ، وفنوننا ، وآدابنا ، بدأت متأثرة بمصدر واحد : او قل انها بدأت رحلتها مع خطوات كتاب واحد هو (الأغانى) لأبى الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد القرشى الأصفهانى .